

اللجنة الدوليّة المشتركة للحوار اللاهوتيّ  
بين الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة

## الإيمان والأسرار ووحدة الكنيسة

باري، حزيران ١٩٨٧

وافقت اللجنة الدّوليّة المشتركة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة، في الجلسة العموميّة في باري (١-٩ حزيران ١٩٨٧)، على وثيقة جديدة حول العلاقات بين «الإيمان والأسرار ووحدة الكنيسة».

تُبّت الموضوع إبّان الجلسة العموميّة في ميونخ (١٩٨٢). وبعدّ الدّراسة الموازية لثلاث لجان فرعيّة مشتركة، أعدّت لجنة التنسيق المشتركة (نيقوسيا، قبرص، ١٩٨٣) تولىفة عضويّة قُدّمت ونوقشت في الجلسة العموميّة في جزيرة كريت ١٩٨٤. ومن ثمّ، قامت اللجنة المشتركة نفسها (أوبوليه Opole، بولندا، ١٩٨٥) بمراجعة هذا المشروع وإجراء التعديلات التي طلبتها الجلسة العموميّة التي عُقدت في مرحلتين، جلسة سنة ١٩٨٦، وجلسة سنة ١٩٨٧.

إنّ النصّ الذي تمّت الموافقة عليه، والذي سيُنشر الآن، هو الوثيقة الثانية للجنة المشتركة، وهي تندرج في السّياق عينه، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوثيقة التي نُشرت سنة ١٩٨٢، التي تحمل عنوان «سرّ الكنيسة والإفخارستيا في ضوء سرّ التّالوث الأقدس».

تستوفي هاتان الوثيقتان متطلّبات «خطّة بدء الحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة»، الموافق عليها في الجلسة الأولى العامّة في باتموس في جزيرة رودس (١٩٨٠). تُعتبر هذه الوثيقة التّحضيرية المشتركة أنّ «البحث في أسرار الكنيسة ملائم للتّدقيق بعمق وبطريقة إيجابيّة في مشكلات الحوار».

# الإيمان والأسرار ووحدة الكنيسة

## توطئة

١- بعد اجتماعنا في ميونخ سنة ١٩٨٢، ووفقاً للخطة التي تبنتها لجنتنا في اجتماعها الأول في رودس سنة ١٩٨٠، بادرت اللجنة في الدورة الرابعة إلى البحث في مسألة العلاقة بين الإيمان والشركة في الأسرار.

٢- الوحدة في الإيمان شرط مسبق للوحدة في الأسرار، ولا سيما في الإفخارستيا المقدسة، كما تقرر في خطة الحوار الذي صدق عليه في رودس. إلا أن هذا المبدأ المتفق عليه عادة ما يثير بعض المسائل الأساسية التي تستحق الاهتمام. هل الإيمان مجرد انتماء إلى صيغ أو هو شيء آخر؟ الإيمان، الذي هو هبة إلهية، يجب أن يفهم كالتزام للمسيحي، التزام عقله وقلبه وإرادته. والإيمان، أيضاً، في كيانه العميق، حدث كنسي، يتحقق ويكتمل في شركة الكنيسة، في تعبيرها الليتورجي، وبخاصة الإفخارستي. ومن ثم، هذا الطابع الكنسي والليتورجي للإيمان يجب أن يؤخذ على محمل الجد.

٣- يجب طرح هذا السؤال لتجنب كل مقارنة ناقصة لمسألة الإيمان التي هي شرط للوحدة. كما ينبغي أيضاً ألا تُطمس حقيقة أن الإيمان يقوم على هذا الشرط وأنه لا يمكن أن يكون هناك شركة في الأسرار من دون شركة في الإيمان بمعناه الواسع كما في معنى صيغته العقائدية.

٤- علاوةً على مسألة الإيمان كشرط مُسبق للشركة في الأسرار وفي ارتباط وثيق بها، وفقاً لمخطط الحوار، دققنا أيضاً في اجتماعاتنا في علاقة الأسرار بما يُسمى التّنشئة المسيحيّة، - أي المعموديّة والتّثبيت والمُسح والإفخارستيا - بعضها ببعض، وعلاقتها بوحدة الكنيسة. في هذه المسألة، يجب أن نُدقق فيما إذا ما كانت كنيستنا تواجهان اختلافًا في الممارسة الليتurgiّة فحسب، أو في العقيدة أيضاً، نظراً إلى ما يربط الممارسة الليتurgiّة بالعقيدة. هل يجب أن ننظر إلى هذه الأسرار الثلاثة على أنّها تنتمي إلى حقيقة سرّيّة واحدة أم أنّها أسرار مستقلة؟ كما ينبغي لنا أن نتساءل أيضاً عمّا إذا كان هناك، بالنسبة إلى أسرار التّنشئة المسيحيّة، اختلافٌ في الممارسة الليتurgiّة بين التّقليديّين، يثير قضية التّباين العقائديّ، تباين من شأنه أن يكون عائلاً جدياً للوحدة.

### أولاً: الإيمان والشركة في الأسرار

٥- الإيمان هبة غير منفصلة عن الله الذي يكشف ذاته، ومن ثمّ يستجيب له الإنسان ويتقبّل هذه الهبة. إنّ تفاعل مشترك لنعمة الله والحرّيّة الإنسانيّة. مكانُ هذه الشركة هو الكنيسة. فيها تنتقل الحقيقة الموحاة وفقاً لتقليد الرّسل على أساس الكتاب المقدّس، ووفقاً للمجامع المسكونيّة والحياة الليتurgiّة وآباء الكنيسة، وتُطبّق في واقع الحياة في أعضاء جسد المسيح. ويُشكّل إيمان الكنيسة قاعدةً ومقياساً لفعل الإيمان الشّخصي. ذلك أنّ الإيمان ليس حصيلة استنتاجات وضرورات منطقيّة، بل يتأثّر بنعمة الرّوح القدس. لقد قيلَ بولس الرّسول هذه النّعمة في «طاعة الإيمان»

(رو ١، ٥). يقول القديس باسيليوس في هذا الصدد: «الإيمان يسبق الخطابات عن الله. الإيمان لا البرهان. الإيمان يفوق الأساليب المنطقية ويقود إلى التسليم. لا يولد الإيمان من حتميات هندسية، بل من قوى الروح» (تفسير المزمور ١١٥، ١).

٦- يفترض كل سر إيمان الكنيسة ويُعبّر عنه وتحتفي به. في الواقع، لا تكفي الكنيسة بالاعتراف بإيمانها والتعبير عنه: إنّها تُحقّق حضور السرّ الذي تحتفي به. يكشف الروح القدس الكنيسة كجسد المسيح الذي يُكوّنه ويُنمّيه. وهكذا تُغذّي الكنيسة بالأسرار شركة إيمان أعضائها وتُنمّيها.

### أ) الإيمان الحقيقي هبة إلهية وجواب حر للإنسان

٧- الإيمان هبة من الروح القدس. بالإيمان يمنح الله الخلاص. وبالإيمان تتمكّن البشرية من الولوج في سرّ المسيح، مؤسس الكنيسة التي بدورها تنقله بفعل الروح القدس الذي يسكن فيها. لا يمكن للكنيسة إلا أن تنقل ما هو في أصل وجودها. إلا أنّ سرّ المسيح واحد وهبة الله واحدة كاملة ولا رجعة فيها (رو ١١، ٢٩). مضمون الإيمان يُحيط بمُجمل تعليم الكنيسة وممارستها المرتبطة بالخلاص، ذلك أنّ العقيدة والمسلك والحياة الليتورجية تتداخل في وحدة متماسكة وتُشكّل معاً كنز الإيمان. يربط القديس يوحنا الدمشقي في صورة رائعة الطابع النظري بالطابع العملي للإيمان، فيقول: «يُصبح الإيمان كاملاً بكلّ ما أقرّه المسيح، الإيمان بالأعمال واحترام وصايا من جدّدنا وممارستها. فالذي لا يؤمن بحسب تقليد الكنيسة الكاثوليكية، أو الذي يبقى في شركة مع الشيطان من جرّاء أعماله الفاسدة، هو غير مُخلص» (الإيمان الأرثوذكسي ٤: ١٠، ٨٣).

٨- الإيمان الذي يُعطيه الله وُثِّبَ به الكنيسة، يُعلن في كنيسة محليّة مرثية ويُعاش ويُقلد في شركة مع سائر الكنائس المحليّة المنتشرة في العالم، أي مع الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ زمان ومكان. يندمج الإنسان بجسد المسيح السريّ بفعل الشركة (*koinônia*) التي تربطه بالكنيسة المرثية التي تُغذي فيه هذا الإيمان بالأسرار وكلمة الله التي من خلالها يعمل الرّوح القدس فيه.

٩- ومن ثمّ، يُمكننا القول إنّ هبة الإيمان متغلغلة في الكنيسة الواحدة في وضعها التاريخيّ والواقعيّ، المُحدّد في المكان والزّمان، أي في الجميع وفي كلّ واحد من المؤمنين بقيادة رعايتهم. وينبغي للإنسان، من خلال الكلام البشريّ وبتنوّع التّعبير الثقافيّة والتاريخيّة، أن يبقى أميناً لعطيّة الله هذه. لا يُمكننا زعمُ أنّ التّعبير عن الإيمان الصّحيح الذي يُقلد في الاحتفال بالأسرار ويُعاش، يستنفدُ كمال غنى السّرّ الذي تجلّى في يسوع المسيح. إلّا أنّه ضمن حدود تعبيره وحدود الأشخاص الذين يتقبّلونه، يُفسح المجال لحقيقة الإيمان الموحى بها، أي ملء الخلاص والحياة في الرّوح القدس.

١٠- هذا الإيمان، بحسب الرّسالة إلى العبرائيّين، هو «قوامُ الأمور التي تُرجى وُبرهانُ الحقائق التي لا تُرى» (عب ١، ١١). وهو إيمان يُشركنا في الخيور الإلهيّة. وهناك أيضًا إيمان يُعبّر عنه في ثقة وجوديّة بقدرة الله ومحبّته وقبول المواعيد الأخرويّة كما تحقّقت في شخص الرّبّ يسوع المسيح. ويفترض الإيمان، كما تُشير الرّسالة إلى العبرائيّين، علاوةً على ذلك، موقفاً إزاء مكان الوجود والعالم. ويتّسم هذا الموقف بالاستعداد للتّضحية بهذه الإرادة الخاصّة وتقدمة الحياة لله وللآخرين كما فعّل

المسيح على الصليب. وُشركنا الإيمان في شهادة المسيح وفي «الجَمّ الغفير من الشهود» الذي يُحيط بالكنيسة (عب ١٢، ١).

١١- يقتضي الإيمان إذًا جوابًا واعيًا وحرًّا من الإنسان وتبدُّلاً متواصلًا في قلبه وعقله. فهو تبدُّل وتحوُّل داخليّ يجعلنا نُقيم في نعمة الرّوح القدس التي تُجَدِّد الإنسان. فهو يبغى توجيه نظرنا إلى أمور الملكوت الآتي الذي يبدأ منذ الآن بتحويل وقائع هذا العالم.

١٢- يفترض الإيمان وجوده في المعموديّة وفي جميع حياة الأسرار التي تتبع. فبالإيمان نشترك بموت يسوع المسيح وقيامته (رو ٦). وهكذا تبدأ مسيرة تستمرّ من خلال الوجود المسيحيّ كلّهُ.

### ب) التّعبير اللّيئورجيّ عن الإيمان

١٣- الأسرار، في الكنيسة، هي البيئة الفُضلى التي يُعاش فيها الإيمان ويُثقل ويُعلَن. ففي التّقليد اللّيئورجيّ البيزنطيّ، تطلب الصّلاة الأولى التي تُتلى على من يتحصّر للمعموديّة من الرّبّ: «املاه من الإيمان والرّجاء والمحبة نَحوك، ليعلم أنّك أنت الإله الحقيقيّ وحدك، مع ابنك الوحيد ربّنا يسوع المسيح وروحك القدّوس». وإزاء ذلك، إنّ أوّل سؤال تطرحه الكنيسة على المرشّح للمعموديّة في التّقليد اللّيئورجيّ اللاتينيّ هو: «ماذا تطلب من الكنيسة؟ فيجيب المرشّح: «الإيمان». - «وماذا يَمَنُحك الإيمان؟» - «الحياة الأبديّة».

١٤- تُعبّر كنيستانا عن قناعتها في هذا المجال بهذه المُسلّمة: «قاعدة الصّلاة هي قاعدة الإيمان» (*Lex orandi lex credendi*). وفي نظر الكنيستين، التقليد اللّيترجي هو تفسير أصيلٌ للوحي، ومن ثمّ، مقياس الاعتراف بالإيمان الحقيقيّ. فمن خلال التعبير اللّيترجيّ لإيمان كنيستينا تبقى شهادة الآباء والمجامع المسكونيّة التي احتفلنا بها معًا، الدليل الأمين للشّعب المؤمن. وبمَعزِلٍ عن تنوُّع التعبير اللاهوتيّ، هذه الشّهادة التي توضّح فحوى بُشرى الكتب المقدّسة، تتجسّم وتُصبح حاضرة في الاحتفال اللّيترجيّ. ويُعدّي الإيمان المُعلن، من جهته، الصّلاة اللّيترجيّة لشعب الله.

### ج) الرّوح القدس والأسرار

١٥- أسرار الكنيسة هي «أسرار الإيمان» حيث يستجيب الله الآب الابتهاال الذي تُعبّر فيه الكنيسة عن إيمانها بصلاتها من أجل مجيء الرّوح القدس. ومن ثمّ، يُعطي الآب روحه القدّوس الذي يُدخلنا في ملء الخلاص بالمسيح. ويُؤسّس المسيح نفسه الكنيسة كجسده، ويبيّن الرّوح القدس الكنيسة. ليس في الكنيسة من هبةٍ إلّا وتُنسبُ إلى الرّوح القدس (باسيليوس الكبير، آباء الكنيسة اليونانيّة PG 30). الأسرار هي هبة الرّوح القدس ونعمته في المسيح يسوع ضمن الكنيسة. وهذا ما يُعبّر عنه باقتضاب في نشيد أرثوذكسيّ لعيد العنصرة: «الرّوح القدس مصدر كلّ هبة. إنّه ينبوع التّبات. يُكتمل الكهنة. يُعلّم الحكمة للجهال. ويجعل من الصّيادين لاهوتيين ويوطّد أسس الكنيسة».

١٦- يَمْنَحُ كُلَّ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ الْكَنِيسَةِ نِعْمَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، إِذْ هُوَ، بِطَرِيقَةٍ لَا تَنْفَصِلُ، عِلَامَةً تُذَكِّرُ بِمَا حَقَّقَ اللَّهُ فِي الْمَاضِي، وَعِلَامَةً تَوْضِيحٍ مَا يُحَقِّقُهُ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَنِيسَةِ، وَعِلَامَةً تُبَشِّرُ وَتُحَقِّقُ مُسَبِّقًا الْكَمَالَ الْإِسْكَاتُولُوجِيَّ. وَهَكَذَا، فِي مِمَارَسَةِ الْأَسْرَارِ، تُوَضِّحُ الْكَنِيسَةُ إِيمَانَهَا وَتُظْهِرُهُ وَتُعْلِنُهُ فِي وَحْدَةٍ مَخْطُطَةِ اللَّهِ.

١٧- تَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْأَسْرَارِ هِيَ فِي عِلَاقَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ بِالْإِفْخَارِسْتِيَا. وَالْإِفْخَارِسْتِيَا هِيَ بِشَكْلِ خَاصٍّ إِعْلَانُ الْإِيمَانِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُ كُلُّ إِقْرَارٍ وَإِلَيْهِ يَعُودُ. فَهِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تُعْلَنُ بِشَكْلِ كَامِلٍ فِي حُضُورِ الرَّبِّ الَّذِي تُرَافِقُهُ قُدْرَةُ الرُّوحِ وَعِظَائِمُ الْعَمَلِ الْإِلَهِيِّ، لِأَنَّ الرَّبَّ يُمَرِّرُ سِرِّيًّا عَمَلَهُ فِي احْتِفَالِ الْكَنِيسَةِ. وَتَنْقُلُ أَسْرَارَ الْكَنِيسَةِ النِّعْمَةَ وَتُعَبِّرُ عَنِ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَتُقَوِّمُهُ، وَهِيَ عَلَى هَذَا النِّحْوِ تَشْهَدُ لِلْإِيمَانِ.

#### (د) الْإِيمَانُ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ وَالْمُحْتَفَى بِهِ فِي الْأَسْرَارِ: قَوَانِينُ الْإِيمَانِ

١٨- تَحْتَفِلُ الْكَنِيسَةُ فِي الْاجْتِمَاعِ الْإِفْخَارِسْتِيَّ بِحَدَثِ سِرِّ الْخِلَاصِ فِي الصَّلَاةِ الْإِفْخَارِسْتِيَّةِ (الْأَنَافُور) لِجَدِّ اللَّهِ. وَالسِّرُّ الَّذِي تَحْتَفِلُ بِهِ هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي تَعْتَرَفُ بِهِ مِنْ خِلَالِ تَقَبُّلِ هِبَةِ الْخِلَاصِ.

١٩- عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ فَحْوَى هَذَا الْإِحْتِفَالِ الْإِفْخَارِسْتِيَّ وَغَايَتُهُ بَقِيَا عَلَى حَالِهِمَا فِي الْكِنَائِسِ الْحَلِّيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمَا اسْتَعْمَلَتَا صِيغًا مُتَنَوِّعَةً وَلِغَاتٍ مُخْتَلِفَةً تُظْهِرُ، وَفَقًّا لِعَبَقْرِيَّةِ الثَّقَافَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، جَوَانِبَ وَانْعِكَاسَاتٍ تَفَاصِيلِ الْحَدَثِ الْفَرِيدِ لِلْخِلَاصِ. وَهَكَذَا فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ الْكَنِيسِيَّةِ، أَي فِي الْاجْتِمَاعِ الْإِفْخَارِسْتِيَّ، يَعْرِفُ تَقْلِيدُنَا الشَّرْقِيِّ وَالغَرْبِيِّ تَنَوُّعًا فِي صِيَاغَةِ مِضمونِ الْإِيمَانِ الْمُحْتَفَلِ بِهِ.

٢٠- منذ العهود الأولى، ارتبط منح المعمودية بصيغة الإيمان التي من خلالها تنقل الكنيسة المحليّة إلى الموعوظ الفحوى الجوهريّ لتعليم الرّسل. ويتّصّ قانون الإيمان هذا، في شكل مُقتَضَب، على جوهر التقليد الرّسوليّ، ويدور بشكل رئيسيّ حول الاعتراف بالتّالوث الأقدس والكنيسة. وعندما تعترف جميع الكنائس المحليّة بالإيمان الصّحيح، فهي تنقل في رتبة المعمودية هذا الإيمان الواحد بالأب والابن والروح القدس. ومع ذلك، انطلاقاً من الأزمنة والأمكنة، توضحّت الصّيغة بطريقة مختلفة، بحسب الظروف المطلوبة، باستخدام مصطلحات ومقترحات غير مطابقة بين صيغة وأخرى. إلا أنّها كانت كلّها تحترم مضمون الإيمان. تستعمل كنيسة الشرق في رتبة المعمودية قانون إيمان نيقية - القسطنطينيّة. أمّا كنيسة الغرب، أمانةً منها لتقليدها الخاص، فتنقل إلى الموعوظ القانون المعروف بـ«قانون الرّسل». هذا الاختلاف في الصّيغ بين كنيسة وأخرى لا يدلّ بحدّ ذاته على وجود أيّ خلاف حول مضمون الإيمان المنقول والمعيش.

### هـ) شروط شركة الإيمان

٢١- إنّ أوّل الشّروط لقيام شركة حقيقيّة بين الكنائس هي أن ترجع كلّ كنيسة إلى قانون إيمان نيقية - القسطنطينيّة كقاعدة إلزاميّة لشركة الكنيسة الواحدة المنتشرة في كلّ الأرض وعبر الأجيال. بهذا المعنى، يفترض الإيمان الحقيقيّ مسبقاً الشركة في الأسرار. ولا تقوم الشركة إلاّ بين كنائس تنعمّ معاً بالإيمان والكهنوت والأسرار. ويفعل هذا الاعتراف المتبادلّ بهويّة الإيمان ووحدته (كما هي الحال بالنّسبة إلى الكهنوت والأسرار) المنقولة في كلّ من الكنائس المحليّة، تعترف الكنائس المحليّة

بعضها ببعض ككنائس الله حقيقية، ويُستقبل كل واحدٍ من المؤمنين في الكنائس كأخ أو أخت في الإيمان. وفي الوقت عينه، يتعمق الإيمان ويستنير بالشركة الكنسية التي تعيشها كل جماعة عبر الأسرار. يتحقق هذا الوصف الكنسي للإيمان، الذي هو ثمرة حياة الأسرار، في مستويات مختلفة في الوجود الكنسي.

٢٢- في أول الأمر، تُعلن الجماعة إيمانها من خلال الاحتفال بالأسرار وتنقله وتستوعبه.

٢٣- فضلاً عن ذلك، تُعبّر كل كنيسة محلية، في الاحتفاء بالأسرار، عن طبيعتها العميقة. إنها استمرارية لكنيسة الرسل وفي شركة مع جميع الكنائس التي تشاطر معها الإيمان عينه وتحتفل بالأسرار عينها. ففي الاحتفال السري للكنيسة المحلية، تعترف الكنائس المحلية الأخرى بهوية إيمانها معها، وتتوطد في حياتها الإيمانية. وهكذا يُنبئت الاحتفال بالأسرار شركة الإيمان بين الكنائس ويُظهرها. لذا، والحالة هذه، إنّ المؤمن الذي ينتمي إلى كنيسة محلية، والذي نال المعمودية فيها، يستطيع أن يتقبل الأسرار في كنيسة محلية أخرى. تعبّر الشركة في الأسرار هذه عن تطابق الإيمان الحقيقي ووحده الذي تتشارك فيه الكنائس.

٢٤- وفي الاحتفال الإفخارستي المشترك بين ممثلي الكنائس المحلية المختلفة، تظهر هوية الإيمان بجلاء وتتوطد بفعل السر بالذات. لذا، إنّ الجماع التي يُعبّر فيها الأساقفة بقيادة الروح القدس عن حقيقة إيمان الكنيسة ترتبط دوماً بالاحتفال الإفخارستي. وبعلان سر المسيح الواحد ومقاسمة شركة الأسرار الواحدة، يُصبح الأساقفة والإكليروس والشعب المسيحي المتّحد بها قادراً على الشهادة بإيمان الكنيسة.

## و) الإيمان الحقيقي والشركة في الأسرار

٢٥- هوية الإيمان، من ثم، هي عنصر جوهرى للشركة الكنسية في الاحتفال بالأسرار. بيد أن بعض التنوع في التعبير لا يعرض الشركة (*koinōnía*) بين الكنائس المحيية للخطر، طالما تُقرّ كل كنيسة من هذه الكنائس، من خلال تنوع الصيغ، بالإيمان الأصيل الواحد، الذي نالته من الرسل.

٢٦- في عصور الكنيسة الموحدة، لم يُهدد تنوع التعابير اللاهوتية للتعليم الواحد الشركة في الأسرار. ولما حصل الانشقاق، بقي الشرق والغرب يتابعان نموهما، ولكن حصل ذلك كل على حدة. وبالتالي، لم تتسنّ لهما إمكانية اتخاذ قرارات جماعية ملزمة لكل من الجانبين.

٢٧- تحفظ الكنيسة «كعمود الحق وركنه» (١ طيمو ٣، ١٥) ودبعة الإيمان نقيّة ومن دون فساد، وتنقلها بأمانة لأعضائها. وعندما كان التعليم الأصيل أو وحدة الكنيسة تهتدها الهرطقة أو الانشقاق، كانت الكنيسة تستند إلى الكتاب المقدس والتقليد الحيّ وقرارات المجامع السابقة، فتعلن في مجمع مسكويّ الإيمان المستقيم بسُلطة أصيلة ومعصومة.

٢٨- عندما يثبت أنّ التباينات تُشكّل رفضاً لعقائد سابقة في الكنيسة وليست مجرد تباينات بسيطة في التعبير اللاهوتيّ، حينئذ نواجه بوضوح انقساماً حقيقياً في الإيمان، إذ لم يعد هناك إمكانية شركة في الأسرار. ذلك أنه يجب الاعتراف بالإيمان بكلمات تُعبّر عن الحقيقة ذاتها. بيد أن حياة الكنيسة من شأنها أن تقود إلى تعابير

جديدة للإيمان الذي «سُلم إلى القديسين تامة» (رسالة يهوذا ٣)، إذا تطلّب ذلك حاجات تاريخية وثقافية جديدة، مع الإرادة الصريحة بعدم تغيير فحوى التعليم نفسه. إنّ العبارات المستخدمة، في مثل هذه الحالات، يُمكن أن تصبح عبارات مُلزِمة لإجماع الإيمان. فهذا يفترض عناصر حُكم تسمح بالتمييز بين التّطوّرات الشّرعيّة، بإلهام الرّوح القدس، والتّطوّرات الأخرى. إذًا:

٢٩- استمرارية التقليد: ينبغي للكنيسة أن تجد للمُعضلات الجديدة أجوبة ملائمة تستند إلى الكتاب المقدّس، بالاتّفاق مع تعابير العقائد السّابقة ضمن استمرارية جوهرية.

٣٠- المعنى التّمجيدّي للإيمان: كلّ تطوّر ليترجيّ في كنيسة محلّية يجب أن يُصادق عليه الآخرون كي يكون مطابقًا لسرّ الخلاص كما تسلّمته واحتفت به.

٣١- المعنى الخلاصيّ للإيمان: كلّ تعبير عن الإيمان يجب أن يقصد مصير الإنسان النّهائيّ، كإبن لله بالنعمة في تألّفه بالانتصار على الموت وفي تجلّي الخليقة وتحوّلها.

٣٢- إذا كان تعبيرٌ ما عن الإيمان يُناقض هذا المقياس أو ذاك، يُصبح عائقًا للشّركة. وإذا كان هذا التّعبير الخاصّ عن الإيمان لا يتناقض مع أيّ من هذه المقاييس، عندها يُعدّ هذا التّعبير تعبيرًا إيمانياً مشروعًا لا يحول دون الشّركة في الأسرار.

٣٣- هذا يفترض أن يُنظر بجديّة إلى لاهوت «المقولات اللاهوتية». فمن الضّروريّ توضيح أيّ نموّ واقعيّ حصل في قسم من العالم المسيحيّ يُمكن أن يُنظر إليه الآخرون كنموّ شرعيّ. وعلاوةً على ذلك، يجب أن نُقرّ بأنّ معنى الألفاظ قد تغيّر مع الزّمن.

لذا، علينا أن نجتهد لفهم كل صيغة وفق ما يقصده أصحابها كي لا تدخل فيها عناصر غريبة، أو تُحمّل عناصر وتُترك جانباً، لأنّها بديهيّة.

### (ز) وحدة الكنيسة في الإيمان والأسرار

٣٤- وظيفة الخدام في الكنيسة قبل أيّ شيء آخر هي المحافظة على الشركة وضمانتها وتنميتها في الإيمان والأسرار. ويقتصر دور خدام الأسرار ومعلّمو الكنيسة والأساقفة، بالتعاون مع خدام آخرين، على إعلان إيمان الكنيسة والتعبير عن مضمونه وعن مقتضيات الحياة المسيحيّة والدّود عنها في وجه التّأويلات المضلّلة التي قد تُشوّه أو تُعرّض حقيقة سرّ الخلاص للخطر.

٣٥- نشاطات الرّعاة الخيريّة أو المواقف التي يتبنّونها إزاء مشكلات حقيّة أو بيئة معيّنة لا تنفصل عن مهمّتي إعلان الإيمان وتعليمه من جهة، والاحتفال بالصّلاة والأسرار من جهة أخرى.

٣٦- وحدة الإيمان ضمن الكنيسة المحليّة وبين مختلف الكنائس المحليّة يضمّنها الأسقف وبيتٌ فيها، الشّاهد على التّقليد وعلى الشركة مع شعبه. وهي لا تنفصل عن وحدة الحياة في الأسرار. الشركة في الإيمان والشركة في الأسرار ليستا حقيقتين متميزتين. إنّهما وجهان لحقيقة واحدة يعزّزهما الرّوح القدس ويُنيهما ويُحافظ عليهما بين المؤمنين.

## ثانياً: أسرار التّنشئة المسيحيّة - علاقتها بوحدة الكنيسة

٣٧- التّنشئة المسيحيّة وحدة يُشكّل فيها الميرون كمال المعموديّة، والإفخارستيا هي الوحدة المكتملة للاتّنين. بيد أنّ وحدة المعموديّة والميرون والإفخارستيا في كيان سرّيّ واحد لا تنفي خصوصيّة كلّ سرّ. المعموديّة في الماء والروح هي المشاركة في موت المسيح وقيامته والولادة الجديدة بالنعمة. والميرون هو هبة الروح لكلّ مُعمّد. تمنح الإفخارستيا بتناول جسد الرّبّ ودمه الاشتراك في ملكوت الله، إذ تتضمّن غفران الخطايا إذا مُنحت وفقاً للشّروط الملائمة، والشّركة في الحياة الإلهيّة ذاتها والانتماء إلى الجماعة الإسكاتولوجيّة.

٣٨- يظهر تاريخ طقوس المعموديّة في الشّرق والغرب، والطريقة التي فسّر بها آباؤنا المشتركون المعنى العقائديّ للطقوس، أنّ أسرار التّنشئة تُشكّل وحدة متكاملة. وتؤكد الكنيسة الأرثوذكسيّة هذه الوحدة بقوة. كما تحتفظ الكنيسة الكاثوليكيّة بها أيضاً. ومن ثمّ، يُعلن كتاب طقوس الأسرار الرّومانيّ الجديد أنّ «أسرار التّنشئة المسيحيّة الثلاثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً فيما بينها بحيث تُؤهل المؤمنين بشكل كامل ليُحقّقوا بواسطة روح الرّسالة في العالم المنوطة بجماعة الشّعب المسيحيّ بكامله (الخدمة العامّة لرتبة أسرار التّنشئة، رقم ٢).

٣٩- نموذج منح الأسرار الذي تطوّر في وقت مبكّر جدّاً في الكنيسة يُوضح كيف كانت تُفهم المراحل المختلفة للتّنشئة على أنّها تُحقّق لاهوتيّاً وليتurgiّاً الانضمام إلى المسيح والانخراط في الكنيسة والنّمّو فيه بتناول جسده ودمه في هذه الكنيسة. هذا كلّهُ يُحقّقه الروح القدس نفسه الذي يجعل من المؤمن عضواً في جسد الرّب.

٤٠- يشمل النموذج القديم العناصر الآتية:

٤١- بالنسبة إلى الراشدين، هناك فترة اختبار روحي وتنشئة كان الموعوظون يتدربون عليها لينضموا نهائيًا إلى الكنيسة؛

٤٢- المعمودية التي يمنحها الأسقف، يُحيط به الكهنة والشمامسة، أو يحتفل بها الكهنة بمعونة الشمامسة، يسبقها الاعتراف بالإيمان والابتهاالات المختلفة والأعمال الليتورجية؛

٤٣- التثبيت أو الميرون يمنحه الأسقف في الغرب، وفي الشرق الكاهن، في حال غياب الأسقف، بوضع الأيدي أو بمنح مسحة الميرون أو الاثنين معًا؛

٤٤- الاحتفال بالإفخارستيا المقدسة التي كان المعتمدون والمثبتون الجدد يدعون في أثنائها إلى الاشتراك الكامل في جسد المسيح.

٤٥- الأسرار الثلاثة هذه كانت تُمنح إبان احتفال ليتورجي واحد مُكثَّف. وكان يتبعها فترة تعمقٍ ونُضجٍ تعليميٍّ وروحيٍّ بالتثقيف والاشتراك المتواتر في الإفخارستيا.

٤٦- يبقى هذا النموذج الأمثل في الكنيستين، إذ يتفق كليًا مع تطبيق التقليد الكتابي والرُسولي الذي سارت في هديه الكنائس المسيحية الأولى وعاشت في ملء الشركة بعضها مع بعض.

٤٧- أصبحت المعمودية الأولاد التي كانت تُمارَس منذ البداية الأسلوب الأكثر شيوعاً لدمج المسيحيين الجدد في ملء حياة الكنيسة. ومن جهة أخرى، جرت بعض التعديلات المحليّة في الممارسة الليتورجية، مراعاةً لحاجات المؤمنين الرّاعوية. لم تؤثر هذه التغيّرات في الفهم اللاهوتيّ للوحدة الأساسيّة في الرّوح القدس، في سياق التنشئة المسيحيّة.

٤٨- حافظت الكنائس، في الشّرق، على الوحدة في الزّمن للاحتفال الليتورجيّ بالأسرار الثلاثة، للتشديد على وحدة عمل الرّوح القدس وكمال انضمام الطّفل إلى حياة الأسرار في الكنيسة.

وفي الغرب، فضّلت الكنيسة، في أغلب الأحيان، تأجيل التّثبيت للحفاظ على اتّصال المعتمد بالأسقف. ومن ثمّ، لم يكن الكهنة مخوّلين منّح سرّ التّثبيت.

٤٩- المسائل الجوهرية لعقيدة المعمودية التي تُجمع عليها الكنيستان هي الآتية:

- ضرورة المعمودية للخلاص؛
- مفاعيل المعمودية، وبخاصّة الحياة الجديدة في المسيح والتحرُّر من الخطيئة الأصليّة؛
- الانضمام إلى الكنيسة بالمعمودية؛
- علاقة المعمودية بسرّ الثالوث الأقدس؛
- الرّابط الأساسي بين المعمودية وموت الرّب وقيامته؛
- دور الرّوح القدس في المعمودية؛
- ضرورة الماء الذي يُظهر طابع المعمودية كمغطس الولادة الجديدة.

٥٠- من ناحية أخرى، هناك فوارق بين الكنيستين في شأن المعمودية:

- الكنيسة الكاثوليكية، مع إقرارها بالأهمية الأساسية للعماد بالتغطيس، تُمارس عادة المعمودية بالسكب؛
- الشّماس الإنجيلي في الكنيسة الكاثوليكية يُمكنه أن يكون خادمًا عاديًا لسرّ المعمودية.

٥١- علاوةً على ذلك، درجت العادة، تدريجيًا، في بعض الكنائس اللاتينية، على منح القربان المقدّس للمرّة الأولى للمعمّدين لم ينالوا بعد سرّ التّثبيت، لأسباب راعوية، وذلك لتهيئة المرشّحين لسرّ التّثبيت عند بلوغهم سنّ المراهقة، مع أنّ التّوجيهات القانونيّة التي تُذكر بالتّسلسل التقليديّ لأسرار التّنشئة لم تُلغ البتّة. هذا التّدخل، الذي يثير اعتراضات أو تحفّظات يُمكن فهمها بين الأرثوذكس والكاثوليك على حدّ سواء، يدعو إلى تفكير لاهوتيّ وراعويّ عميق، ذلك أنّ الممارسة الرّاعويّة يجب ألاّ تنسينا أبدًا معنى التقليد الأوّليّ وأهمّيته العقائديّة. ولا بدّ من أن تُذكر هنا بأنّ المعموديّة المنوحة لمن بلغوا سنّ الرّشد في الكنيسة اللاتينية، يتبعها دومًا سرّ التّثبيت والاشترك في الإفخارستيا.

٥٢- تُعبر الكنيستان، في الوقت عينه، أهميّة كبرى لضرورة تأمين التّنشئة الرّوحية للمعمّدين الجُدّد في الإيمان. لذا، فهي تُشدّد، من جهة، على أنّ هناك رباطًا أساسيًا بين عمل الرّوح القدس السّامي، الذي يُحقّق من خلال الأسرار الثلاثة الانتماء الكامل للشّخص إلى حياة الكنيسة، وبين جواب الإنسان وجماعته الدّينيّة؛ ومن جهة أخرى، تُشير إلى أنّ الاستنارة الكاملة بالإيمان لا تُصبح ممكنة إلّا عندما يتقبّل المعمّد حديثًا أسرار التّنشئة المسيحيّة.

٥٣- وُذِّكِرَ أخيراً بأنَّ مَجْمَع القسطنطينيَّة الذي احتفت الكنيسة به سنة ٨٧٩-٨٨٠، قرَّر أن يحتفظ كلَّ كرسيِّ بالممارسات القديمة المرتبطة بتقليده، فتحفظ كنيسة روما بعاداتها وكنيسة القسطنطينيَّة بالعادات التي تخصَّها، وكذلك كرسيِّ الشرق (راجع مانسي، ١٧، ٤٨٩ ب).

كسانو ديل مورغيه (باري)، واحة القديسة ماريًا، في ١٦ حزيران ١٩٨٧.

*Cassano delle Murge (Bari), Oasi Santa Maria, le 16 juin 1987.*